سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾

وَالصَّافَّاتِ صَفاً : قسم بالجماعات تصطف للعبادة .

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً : تزجر عن المعاصي بالأقوال والأفعال .

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً : تتلو آيات الله للعلم والتعليم .

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ : جواب القسم .

من جملة الحقائق الغيبية التي أخبر عنها الأنبياء الكرام وجود الملائكة . وقد ذُكرت هنا ثلاث وظائف خاصة بالملائكة . أما أولاها: فهي تتمثل في خضوعهم التام وانقيادهم الكلي لمشيئة الله ، حيث إنهم لا يزالون يقفون في جناب الله تعالى صفوفاً ، وهم على أتم الاستعداد لامتثال أمره ، دون أن يخطر ببال أحدٍ منهم خاطر العصيان أو التمرد عليه أبداً .

ومن الملائكة : طائفة أخرى تقوم بتنفيذ العقوبات الإلهية على الناس ، إما بشكل النوازل والآفات والنكبات أو بأي شكلٍ آخر سواها .

وأما ثالث الوظائف المنسوبة إلى الملائكة هنا: فهي أنهم يتنزلون بذكر الله وموعظته على قلوب عباد الله ؛ في صورة الإلهام أو الإلقاء بالنسبة إلى البشر العاديين ، وفي صورة الوحي بالنسبة إلى الأنبياء والمرسلين !.

إن الله هو مالك هؤلاء الملائكة الذين لا يراهم الإنسان ، كما أنه تعالى هو مالك هذه السماوات والأرض التي يراها الكل رأي العين . وفي حالة كهذه فإن كل ما يُتخذ من دون الله الواحد إلهاً سيكون هو إلهاً لا يستحق أن يؤلّه أو يُعبد إطلاقاً! .

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾

شَيْطَانٍ مَّارِدٍ : متمرد خارج عن الطاعة .

وَيُقْذَفُونَ : يرجمون .

دُحُوراً : إبعادا وطرداً .

عَذَابٌ وَاصِبٌ : دائم لا ينقطع .

خَطِفَ الخَطْفَةَ : اختلس الكلمة مسارقة بسرعة .

شِهَابٌ : مايرى كالكواكب منقضا من السماء .

ثَاقِبٌ : مضيء أو محرق .

ربما يكون المراد بـ "السماء الدنيا" هو هذا الجزء من الفضاء الذي يقع قريباً منا نحن البشر ، والذي يمكننا أن نشاهده بالعيون المجردة من غير استعانةٍ بأية وسائط أو آلاتٍ .

وكما أن الإنسان كائن مختار ، فكذلك يتمتع الجن بحرية الاختيار ، ومن ثم فهم يحلقون في أجواء الفضاء في محاولة التوصل إلى الملأ الأعلى (العالم العلوي) كي يستمعوا - خلسةً ومسارقةً - إلى أخبار المستقبل ، غير أن الله - جلّت قدرته - قد اتخذ

في السماء الدنيا تدابير محكمة لدرجة أنهم لا يكادون يقتربون منها حتى يُطردوا خائبين، ولا تسنح لهم فرصة للوصول أو الاستماع إلى الملأ الأعلى!

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

طِينٍ لَّازِبٍ : ملتزق بعضه ببعض .

وَيَسْخَرُونَ : يهزأون ويتعجبون .

يَسْتَسْخِرُونَ : يبالغون في سخريتهم .

دَاخِرُونَ : صاغرون أذلاء.

إن هذا الكون الذي يمتد أمام أبصارنا يبلغ من الدقة والتعقيد والعظمة والاتساع حداً يبدو بجانبه إعادة خلق البشر في عالم آخر عملاً هيناً صغيراً نسبياً، إذْ كيف يستحيل أو يُستبعد على خالقٍ نشاهد الأنموذج الأعظم من قدرته على الخلق والإبداع؛ أن يقوم بعملية إبداعية أصغر من ذلك بكثير؟!

ومن تحليل الجسم الإنساني ندرك أنه علم على مزيج من الأجزاء الأرضية، حيث تم تكوين الإنسان من تركيب المواد أو العناصر المتوافرة في أرضنا كالماء، والكالسيوم، والحديد، والصوديوم، والتنجستين، وما إلى ذلك، وكل هذه العناصر توجد في هذا العالم بمقادير هائلةٍ جداً، إذن، فالعناصر التي أنشأ الخالق بتركيبها هذا الإنسان مرةً واحدةً، كيف لا يستطيع أن يفعل ذلك بإعادة تركيب هذه العناصر نفسها مرةً

أخرى؟!

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ : صيحة واحدة (نفخة البعث)

يَا وَيْلَنَا : يا هلاكنا أحضر .

يَوْمُ الدِّينِ : يوم الجزاء والحساب .

وَأَزْوَاجَهُمْ : أشباههم . أو قرناءهم .

وَقِفُوهُمْ : احبسوهم في موقف الحساب .

يساق الحديث عن الحياة القادمة في العالم الراهن كما يُساق خبر من الأخبار . ولكن المرء لا يلقى إلى هذا الخبر بالاً ولا يعطيه أهميةً تُذكر ، وأما إذا فوجئ الناس بالحياة القادمة، وقد استحالت حقيقةً قاسيةً لا مندوحة عنها ، فسوف لا يلبث المرء يومئذٍ أن يلقى بنفسه بين يدي الله خاضعاً مستسلماً ناسياً كل عناده وطغيانه. وإنه سيكون مشهداً فظيعاً مروعاً لا يوصف. وقد سُلطت بعض الأضواء على ما سيؤول إليه حال الناس يومئذٍ في ساحة المحشر في الآيات التالية .

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾

عَنِ الْيَمِينِ : من جهة الدين فتصدوننا عنه.

قَوْماً طَاغِينَ : مجاوزين الحد في العصيان .

فَحَقَّ عَلَيْنَا : ثبت ووجب علينا .

فَأَغْوَيْنَاكُمْ : فدعوناكم إلى الغي فاستجبتم .

هذا حوار بين العوام (الأتباع) والقادة (المتبوعين) ، ففي يوم القيامة سوف يلقي العوام بتبعة هلاكهم وضياعهم على قادتهم قائلين : إنكم أنتم الذين أغويتمونا بشتى وسائل الإغواء والتضليل .. وسيرد عليهم القادة بقولهم: إن اتهامكم هذا خاطئ ، إذْ لا يغوي أحد أحداً ، وإنما كانت أنفسكم منطويةً على مزاج التمرد والطغيان ، وبالتالي فقد استجبتم لنا واتبعتمونا لكون كلامنا يتفق مع مزاجكم ، والواقع أن استجابتكم إنما كانت أساساً لأهوائكم وليست لنا .. إذن فكلنا في الجريمة سواء .

والحقيقة أن كلا الفريقين - القادة والأتباع - سيلاقون يوم القيامة مصيراً مشتركاً واحداً ، فلن تتمكن عظمة القائد من إنقاذه من العذاب ، ولن ينجي العوام اعتذارهم : إننا كنا جهلة ، وإنما أضلنا قادتنا عن سواء السبيل !.

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

ليس معنى قوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أنهم

كانوا يقفون موقف الاستكبار إزاء الله .. إذْ لا أحد يفعل ذلك فإن عظمة الله أجل وأكبر من يجترئ أحد على التعالي والاستكبار تجاهه ، وإنما كان استكبارهم في الحقيقة بالنسبة إلى رسول الله وليس بالنسبة إلى الله تعالى !.

وحيث إن رسالة التوحيد التي جاء بها الرسول كانت تمثل ضربة موجهةً نحو أكابرهم أولئك الذين كانوا يمارسون أعمالهم المشركة بأسمائهم ؛ فإذا قارنوا بين شخصية الرسول -من ناحيةٍ - وبين أكابرهم المزعومين - من ناحيةٍ أخرى - بدا لهم الرسول في ظاهر الأمر أقل وأنزل رتبةً من أكابرهم ، وكانوا بالتالي لا يلبثون أن يعرضوا عن الرسول ازدراءً واستهانةً بشأنه . وكانوا يظنون باستمرارهم على التشبث بأهداب أكابرهم المزعومين ، أنهم مرتبطون بالكبار .

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

الْمُخْلَصِينَ : الذين أخلصهم الله لطاعته .

بِكَأْسٍ : بخمر . أو بقدح فيه خمر .

مِن مَّعِينٍ : من شراب نابع من العيون .

لاَ فِيهَا غَوْلٌ : ليس فيها ضرر ما كخمر الدنيا .

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ : حور لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

عِينٌ : واسعات العيون حسانها .

بَيْضٌ مَّكْنُونٌ :مصون مستور لم يصبه غبار .

الذين سيقيمون بأقوالهم وأعمالهم الدليل على أنهم أهل للسكنى في عالم الجنة اللطيف النفيس ، سوف يختارهم ربهم للإسكان في جنته، وسوف يوفر لهم هناك كل أنواع النعم الرفيعة، ثم يقال لهم : عيشوا في حدائق اللذات والراحات خالدين أبد الدهر!.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

لَمَدِينُونَ : لمجزيون محاسبون ؟

سَوَاءِ الجَحِيمِ : وسطها .

إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ : إنك قاربت لتهلكني بالإغواء .

المُحْضَرِينَ : للعذاب مثلك .

إن الجنة ستكون عالماً حافلاً بأنشطةٍ لطيفةٍ وممتعةٍ للغاية ؛ حيث ستكون هناك اجتماعات يسودها الأنس والمودة والصفاء ، ومشاهدات رائعة تبعث البهجة والسرور في النفس ، وسيدور بين أصحابها أحاديث وأسمار لذيذة هادئة ؛ إذْ ستكون كل ألوان القيود والحدود قد ألغيت هناك ، وكل أنواع المنغصات قد انعدمت وتلاشت إلى غير

رجعةٍ.

وليس المراد من الإيمان بالآخرة إقرارها اللفظي بسهولةٍ ، وإنما اعتبار أمرها من الأهمية والخطورة بحيث يطغى ذلك على حياة المرء بأكملها ، وبالتالي يسخِّر المرء كل ما يملك في سبيل الآخرة ، والذين كانوا يعتبرون محبي الآخرة مجانين أو مغفلين ، سوف يتملكهم الذهول حين يرون فوزهم ونجاحهم الباهر في الآخرة، ومن جهةٍ أخرى سينظر المحبون للآخرة إلى مصيرهم الرائع نظرة ملؤها الدهشة والإكبار ، كما لو أنهم غير متأكدين من أن الله كافأهم على عملهم الصغير بهذا الجزاء الكبير .. ما أعجب ذلك الإنسان الذي لا يحترق شوقاً إلى جنةٍ هذا شأنها ، والذي لا يعمل جهده لأجل الحصول عليها !!

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

خَيْرٌ نُّزُلًا : ضيافة وتكرمة ولذة .

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ : شجرة من أخبث الشجر بتهامة .

فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ : محنة وعذاباً لهم في الآخرة .

أَصْلِ الجَحِيمِ : قعر جهنم .

طَلْعُهَا : ثمرها الشبيه بطلع النخل .

كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ : تمثيل لتناهيه في البشاعة والقبح .

لَشَوْباً : لخلطا ومزاجاً .

مِنْ حَمِيمٍ : ماء بالغ غاية الحرارة .

عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ : يزعجون ويحثون على الإسراع الشديد على آثارهم .

لقد جاء في القرآن غير مرةٍ أن في جهنم شجرة من زقومٍ ، سيأكل أهل جهنم من ثمارها إذا اشتد بهم الجوع . (الدخان : ٤٢ ، الواقعة: ٥٢) .

ولما أخبر القرآن بذلك اتخذه قدماء العرب موضوع التندر والسخرية ، فقال أحد الرؤساء : كيف ستنبت الشجرة وسط نيران جهنم الملتهبة ، بينما النار تحرق الشجر ؟ وقال آخر : إن محمداً يحذرنا من الزقوم ، وإنما هو في لغة البربر التمر والزبد . وذات يومٍ ذهب أبو جهلٍ ببعض الناس إلى داره ، فنادى جاريته بأن ائتيني بالتمر والزبد ، فلما أحضرت ، قال لأصحابه : "تزقموا ، هذا ما يخوفنا به محمد "[1].

وقد كانت مثل هذه التصريحات القرآنية أفضل وسيلةٍ يستغلها المعارضون للدعاية المغرضة ضد القرآن وتشكيك الجماهير في شأنه ، وقد كان بالإمكان ألا يستعمل الله - سبحانه وتعالى - في القرآن أية كلمةٍ يجد فيها المعارضون مأخذاً أو موضوع الطعن والانتقاص ، غير أن الله سبحانه لم يفعل ذلك . وسر ذلك أن هذا هو المكان الذي يتم فيه امتحان المرء ، فلكي يدخل المرء في عداد الناجين لابد له من أن يقيم الدليل على أنه قد ركز اهتمامه على الحقيقة الجوهرية بغض النظر عن المطاعن والمآخذ ، وأدرك المراد الحقيقي من الكلام مع اجتياز مزالق سوء الفهم بسلامةٍ ، وجنّب نفسه الانحراف

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٤١.

الذهني رغم توافر إمكاناته .

إن عباد الله "المخلصين" هم الذين يكتشفون الصدق متحررين من أسر الدين التقليدي الموروث ، ويدركون المعاني مترفعين عن الظواهر، والذين يتعرفون على مندوب الله البشري ، وبالتالي يقفون إلى جانبه بكل ما عندهم من همةٍ ونشاطٍ !

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

لم يلبث قوم نوح أن صاروا له أعداء ، فنادى - عليه السلام - ربه طالباً نصرته على قومه ، فنصره الله على أفضل وجه وأكمله، وتوضح هذه الكلمات أن عبداً من عباد الله حين ينادي ربه ، فيتلقى من لدنه تعالى أحسن الجواب . ولكن لكي نفهم هذا الأمر على وجهه لابد أن نضيف إليه أمراً آخر، وهو أن نوحاً - عليه السلام - استمر يعمل ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً ، ظل فيها يدعو قومه إلى الله ، متحلياً بالصبر والحكمة ، ومراعياً كل آداب النصح والموعظة الحسنة ، وهكذا بعد مضي حقب طويلة من الزمان حافلة بالجهد الدءوب والعناء المتصل ، حان الوقت الذي لم يعد يسعه فيه إلا أن يدعو الله على قومه ، وبالتالي تتوجه عناية الله إلى نصره بكل قواه .

وقد هلك معارضو نوح في طوفانٍ هائلٍ بحيث لم يبق لهم ذكر ولا أثر. وأما نسل البشر الذي بدأ في أعقاب ذلك بالتكاثر ، فإنما جاء من ذرية أولئك الأفراد القلائل الذين ركبوا في السفينة مع نوحٍ فنجوا من الغرق !

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾

مِن شِيعَتِهِ : ممن شايعه على منهاجه وملته .

أَئِفْكاً : أكذباً وباطلاً.

كان سيدنا إبراهيم هو الآخر على الدين نفسه الذي كان عليه سيدنا نوح من قبل؛ فقد ظلت دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ، على اختلاف الزمان والمكان ، واحدةً ، ألا وهي أن يصل المرء إلى ربه وهو يحمل بين جنبيه قلباً سليماً . والقلب السليم معناه القلب الطاهر ، أي القلب المصون من الآفات . وهذا هو الشيء الأصيل الذي يطلبه الله من الإنسان.

لقد بعث الله بالإنسان إلى الدنيا بعد أن خلقه على الفطرة الصحيحة . واختباره الآن يكمن في أن يجنب نفسه فتن الدنيا ومغرياتها ، حتى يلقى ربه وهو منزّه نقي من كل دنسٍ أو لوثةٍ شيطانية ونفسانيةٍ . وإن هذا الإنسان الطاهر المصون هو الذي يسكنه الله وأمثاله في جنانه الأبدية!

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

فَنَظَرَ : تأمل تَأَمُّل الكاملين .

إِنِّي سَقِيمٌ : يريد أنه سقيم القلب لكفرهم .

فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ : فمال إليها خفية ليحطمها .

ضَرْباً بِالْيَمِينِ : يضربهم ضرباً ملتبسا بالقوة .

يَزِفُّونَ : يسرعون في مشيهم .

بِغُلامٍ حَلِيمٍ : رجح كثير أنه إسماعيل عليه السلام.

ربما كان قوم إبراهيم يتهيأون للذهاب إلى خارج البلدة لأجل الاحتفال ببعض أعيادهم ، وبالمناسبة طلب منه - عليه السلام- أهل أسرته أن يخرج معهم هو الآخر، إلا أنه اعتذر إليهم عن ذلك بأسلوب التورية . ولما ذهب جميع الناس ، توجه ليلاً صوب معبدهم ، وحطّم أصنامهم ، وإنه - عليه السلام- لم يقدم على هذا إلا بعد ما استنفد كل جهوده في دعوة القوم إلى الحق وأقام عليهم الحجة، ولما لم يقتنعوا بكون الأصنام باطلةً عن طريق الأدلة والبراهين ، أعلمهم بلسان العمل بأنها باطلة لا حقيقة لها ؛ إذْ لو كانت لها حقيقة ما لأنقذت نفسها من التحطم تحت ضربات المعول !.

وبعد قيامه - عليه السلام- باتخاذ هذه الخطوة النهائية الحاسمة ، لم يلبث القوم أن رموه بآخر سهامهم ، حيث ألقوه في النار المستعرة ، ولكن الله أنقذه منها سالماً، وقد اضطر بعد ذلك إلى الفرار من قومه ، فغادر وطنه (العراق) ورحل إلى الشام ، ويتردد على لسانه آنذاك الدعاء التالي : اللهم ارزقني أولاداً صالحين ، حتى أقوم بتربيتهم على معاني الإيمان والإسلام ، لكي يضطلعوا من بعدي بأعباء دعوة التوحيد ويستمروا في إبلاغها إلى الأجيال اللاحقة!

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ

قَالَ يَٰٓبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ : درجة العمل معه في حوائجه .

أَسْلَمَا : استسلما وانقادا لأمره تعالى .

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ : أضجعه على جبينه على الأرض .

البَلاءُ المُبِينُ : الاختبار البين . أو المحنة البينة .

بِذِبْحٍ : بكبش يذبح .

لقد غلب الشرك في زمن سيدنا إبراهيم وسرى نفوذه في كل شعبةٍ من شعب الحياة البشرية بحيث قام له تسلسل فكري عبر الأجيال المتعاقبة، فما من مولود يولد في ذلك الزمان إلا ترسخت جذور الشرك في أعماقه بتأثير البيئة المحيطة به ، لدرجة أن أية محاولات دعوية لم تعد تنجح في تنقية ذهنه من آثار الشرك ، ولما خرج سيدنا إبراهيم، بعد كفاحٍ دعوي طويلٍ من أرض العراق ، لم يكن معه حينذاك سوى مؤمنين اثنين : أحدهما زوجه سارة ، والآخر ابن أخيه لوط !!

ولما كان الناس يأبون قبول التوحيد على كثرة دعوات الأنبياء وطول مداها ، شاءت إرادة الله أن يضع خطةً لإعداد نسلٍ جديدٍ من البشر ينشأ بمعزلٍ عن مؤثرات بيئة

الشرك ، وقد اختير لهذا الغرض منطقة الحجاز النائية التي كانت غير مسكونةٍ تماماً ، وكانت تتلخص هذه الخطة الإلهية في أن يتم إسكان شخصٍ في تلك المنطقة غير المأهولة ، ويُعد من أعقابه وذريته نسل محفوظ نقي، غير أن الحجاز لم يكن يعدو أن يكون صحراء مجدبة حينذاك ، فكان إسكان أحد الناس في هذه الصحراء المجدبة مرادفاً لذبحه حياً .. وقد أمر الله خليله إبراهيم بأن يقدم ابنه البكر إسماعيل لهذا الذبح، فما لبث أن أحضر ولده للذبح امتثالاً لأمر الله.. فكأن إسماعيل تعرض للذبح مرتين وقد نجاه الله فيهما!!

وكان لسيدنا إبراهيم ولد آخر هو سيدنا إسحاق - عليه السلام - وقد ظلت النبوة مستمرةً في نسله إلى أن وُلد النبي الخاتم في بني إسماعيل ، وهو الذي فجر - باستخدام "النسل المحفوظ" الآنف الذكر ثورة توحيديةً عامةً قضت على غلبة الشرك الفكرية إلى الأبد!!

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

لقد نصر الله موسى وقومه ونجاهم من ظلم فرعون . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : كيف تم ذلك؟ إنما تم ذلك عن طريق الدعوة إلى الله ، حيث دعا موسى فرعون إلى الحق ، وبذل في هذا السبيل قصارى جهده حتى أعذر إليه وأقام عليه الحجة . وبعدئذٍ حان الوقت الذي لم يعدْ فيه بد من أن يُدان فرعون ويهلك ، ويكتب لموسى وقومه الغلبة والتمكين في الأرض، ومما يُستفاد من هداية الصراط المستقيم في

هذا السياق أنه قد وُفقوا إلى الحل الصحيح لقضية فرعون .. وبالرغم من أنها كانت قضية قومية بالنسبة إلى بني إسرائيل ، إلا أنهم أُرشدوا إلى حلها في إطار الدعوة ؛ ومن ثم فإن الغلبة التي حصلوا عليها إنما جاءت ثمرة كفاحهم الدعوي ، وليس نتيجة أي نضالٍ قومي ضد الطاغية فرعون !.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ : أتعبدون الصنم المسمى بعلاً تحضرهم الزبانية في النار .

إِلْ يَاسِينَ : إلياس أو إلياس وأتباعه .

كان إلياس - عليه السلام - من نسل هارون - عليه السلام - عاش في القرن التاسع قبل المسيح وفي عهده كانت فلسطين يحكمها الملك اليهودي أَخآب (Ahab) ، وكانت لبنان خاضعةً لحكومة الشعب الفينيقي ، الذي كان شعباً مشركاً يعبد صنماً يقال له: "بعل" . وقد تزوج أخآب من ابنة الملك المشرك ، وبتأثيرٍ من هذه الأميرة المشركة انتشرت عبادة الصنم بعل بين اليهود، وعندها قام إلياس يحذر اليهود مغبة انحرافهم ، ودعاهم إلى عبادة الله الواحد ؛ دين آبائهم وأسلافهم الحقيقي. وقد ذُكرت أحوال سيدنا إلياس (باسم إيليا) في أسفار التوراة .

ولم يقف إلى جانب إلياس - عليه السلام - في زمانه سوى عددٍ قليلٍ من اليهود ، بينما وقفت أغلبيتهم الساحقة منه موقف الجحود والمعارضة ، حتى تآمروا على سفك

دمه .. فأذاقهم الله جزاء ذلك شتى العقوبات ، على أن إلياس لم يلبث أن نال مقاماً رفيعاً جداً لدى اليهود فيما بعد ؛ حيث إنه يُعد الآن من كبار الأنبياء في تاريخ الشعب اليهودي!

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

فِي الغَابِرِينَ : في الباقين في العذاب .

دَمَّرْنَا الآخَرِينَ : أهلكناهم .

مُّصْبِحِينَ : داخلين في وقت الصبح .

كان سيدنا لوط ابن أخٍ لسيدنا إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - وقد أُرسل إلى قريتي سدوم وعاموره قرب البحر الميت لهداية أهلهما الذين كانوا مصابين بعبادة غير الله وسوء الأخلاق ، غير أنهم لم يتقبلوا الهداية ، فما لبثوا أن حل بهم آخر الأمر عذاب الله ، فأهلكوا عن آخرهم ما عدا لوطاً ونفراً قليلاً من الذين آمنوا به .

وقد كانت قريش كثيراً ما تمر قوافلها التجارية ، وهي في طريقها إلى بلاد الشام وفلسطين ، بأطلال مساكن قوم لوط الواقعة على شواطئ البحر الميت ، ولكن من

عجائب أمر الإنسان أنه لا يعرف إلا الحادث الذي يقع على نفسه هو، أما مصائر الآخرين فقلما يأخذ منها درساً أو ينظر فيها بعين التدبر والاعتبار !

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾

أَبَقَ: هرب .

المَشْحُونِ : المملوء .

فَسَاهَمَ : فقارع مَنْ في الفلك.

المُدْحَضِينَ : المغلوبين بالقرعة .

فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ : ابتلعه .

وَهُوَ مُلِيمٌ : آت بما يلام عليه .

المُسَبِّحِينَ : الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح .

فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ : طرحناه بالأرض الفضاء الواسعة .

يَقْطِينٍ : هو القرع المعروف وقيل غيره .

يرجع عهد يونس - عليه السلام - إلى القرن الثامن قبل المسيح ، وقد أرسله الله إلى نينوى - إحدى مدن العراق القديم - فمكث هناك يدعو أهلها إلى الحق مدةً من الزمان ،

حتى يئس من إيمانهم ، فغادر المدينة ولم ينتظر أمر الله بمفارقة قومه . ولعله حين أزمع الرحيل قصد نحو شاطئ دجلة ، حيث ركب في سفينة كانت مكتظةٍ بالمسافرين ، فلم تكد السفينة تتوسط النهر حتى اضطربت وكادت أن تغرق ، فاضطر ركابها أن يقترعوا على من يُلقى في البحر منهم ، فخرجت القرعة على يونس وألقوه في الماء ، فابتلعه - بإذن الله - حوت عظيم، ثم نبذه بالساحل بعدما لبث في بطنه ما شاء الله أن يلبث .. وبم أن يونس - عليه السلام - كان قد ترك قومه قبل الآوان ، أمره الله بأن يعود مرةً أخرى إلى قومه ، فجاء ، واستأنف دعوته ، ولم يلبث حتى آمن به جميع سكان المدينة البالغ عددهم أكثر من مائة ألف نسمةٍ .. وهذا يفيد أن الداعي لابد له من التزام الصبر على كل حالٍ ، حتى في الوقت الذي يكون سلوك الناس قد صار في ظاهر أمره باعثاً على اليأس !

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

إِفْكِهِمْ : كذبهم على الله .

أَصْطَفَى ؟: اختار ؟ (استفهام توبيخ) .

سُلْطَانٌ : حجة وبرهان .

إن ترغيب الشيطان أو تفسير البشر الخاطئ لحقائق الغيب كثيراً ما يؤدي إلى انحرافات فكرية وضلالات عقيدية عظيمة ، ومنها ما يعتقده بعض الناس أن الملائكة بنات الله ... ، إن هذا زعم سخيف باطل لا يستند على أساسٍ من العقل أو النقل،

وحسبك دليلاً على بطلانه بأمرٍ بديهي وهو أنه لو كان الله - فرضاً - بحاجةٍ إلى الولد لمساعدته ، لاتخذ لنفسه الذكور دون الإناث التي هي رمز للضعف حتى لدى المشركين أنفسهم !!

﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

الجِنَّةِ : الملائكة ، أو الشياطين .

إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ : إن الكفار لمحضرون للنار .

عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ : مضلين أو مفسدين على الله أحداً.

صَالِ الجَحِيمِ : داخلها أو مقاسٍ حرها .

الصَّافُّونَ : أنفسنا في مقام العبادة .

المُسَبِّحُونَ : المنزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله .

تعتقد الأمم الضالة عن الجن أنهم أنداد ومنافسون لله سبحانه وتعالى ؛ حيث تزعم أن الجن يملكون قوى الشر كما يملك الملائكة قوى الخير ، وأن كلاهما قادر على أن يجرّ من شاء إلى هوة الشقاء والتعاسة ، ويقود من شاء إلى طريق النجاح والسعادة، كشأن المجوس القائلين بالثنوية ؛ أي بوجود مبدأين أو إلهين اثنين: أحدهما "أرْمُزد" وهو - في زعمهم - إله النور والخير ، وثانيهما "أهريمان" وهو إله الظلمة والشر .

إن الإنسان يؤله الملائكة ويعبدهم في الدنيا بناءً على افتراضاته الكاذبة ، بينما الملائكة

لا يزالون يقفون بين يدي الله الواحد القهار صفوفاً كالخدم المطيعين ، وألسنتهم لا تفتأ تلهج بتكبير الله الواحد وتسبيحه كل حينٍ وآن !

﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

الناس يهملون أمر دعاة الحق بعد الاكتراث ، ويغيب عن بالهم أن دعاة الحق هم جنود الله في هذه الدنيا ، وأن كلمتهم تعلو على كل حالٍ ، مهما اشتدت معارضة المعارضين لها ، ومهما وضعوا في طريق انتشارها من صنوف العراقيل !

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

بِسَاحَتِهِمْ : بفنائهم . والمراد .بهم .

رَبِّ العِزَّةِ : الغلبة والقدرة والبطش .

كان الرسول ينذر الناس قائلاً بأنكم لئن لم تؤمنوا بما جئتكم به،حل عليكم عذاب من الله شديد .. بيد أن الناس ما برحوا يعتبرون هذا القول ضرباً من اللغو أو الهذيان ، فظلوا يسخرون منه ومن قائله .

ولكن بالرغم من سخرية الناس واستهزائهم لم ينزل عليهم العذاب فوراً ، لأن العذاب الإلهي لابد له من قيام الحجة وبلوغ الدعوة إلى حد انقطاع العذر ، ولهذا

السبب يؤمر الأنبياء بالصبر والإعراض حتى يأتي الأجل المقدور بحسب العلم الإلهي !